

الإمام محمد بن علي الحوتي التلمساني وجهوده العلمية

-دراسة في مخطوط رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي كَيْفِيَّةِ دُخُولِ ضُعَفَاءِ الْعَوَامِ وَمَسَاكِينِ
الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَهُمْ قَلِيلُ الْإِلْهَامِ فِي دَائِرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ-

Imam Muhammad bin Ali Al-Houti Al-Tlemceni and His Scholarly Contributions

A Study of the Manuscript: "Rahmat al-Rahman fi Kayfiyyat Dukhul
Du'afa' al-'Awam wa Masakin al-Talabah alladhina Lahum Qalil al-
Ilham fi Dairat Ahl al-Iman"

هاجر حمودة¹، أ.د. عمران بودقزدام²

¹ جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية
ومقاصدها ومسالك تقويمها (الجزائر) ha.hamouda@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، (الجزائر) amrameabounacer@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/07/24

تاريخ الأرسال: 2025/03/10

ملخص:

يعدّ محمد بن علي بن منصور الحوتي التلمساني الجزائري العالم الجليل الصوفي العابد
الزاهد شيخ زاوية قرية عين الحوت بمدينة تلمسان، من العلماء الذين كان لهم أثر كبير وواسع
خلال القرن الثاني عشر الهجري، ومع ذلك لا نكاد نجد له ذكرا في كتب التراجم والتّصوف،
فلم ينل شهرة واسعة مع عظيم فضله وقدره.

يكشف هذا المقال الذي بين أيدينا عن الجوانب المهمة من حياة هذا العالم الجليل
 وجهوده العلمية من خلال دراسة أحد أنفس المخطوطات التي عثرت عليها ولم تلق اهتمامًا من
 طرف الباحثين، وهو كتاب "رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي كَيْفِيَّةِ دُخُولِ ضُعَفَاءِ الْعَوَامِ وَمَسَاكِينِ الطَّلَبَةِ
الَّذِينَ لَهُمْ قَلِيلُ الْإِلْهَامِ فِي دَائِرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ"، ويُعتبر هذا الكتاب مصدراً مهماً للدارسين، مزج
 فيه مؤلفه بين العقيدة والتّصوف فكانت أبوابه في العقائد مكتوبة بروح ونفس صوفي وخاتمته
 بياناً لطريقته في التّصوف والعرفان.

الكلمات المفتاحية: الحوتي-رحمة الرحمن-مخطوط-التصوف-العقيدة

Abstract:

Among the scholars who have not received due recognition in biographical and Sufi literature, despite their great virtue and status, is the esteemed Sufi scholar and devout ascetic Muhammad bin Ali bin Mansour Al-Houti Al-Tlemceni Al-Jazairi, from the village of 'Ain Al-Hout in the city of Tlemcen. He was the sheikh of the Zawiya of 'Ain Al-Hout and a prominent scholar who had a significant influence during the 12th century Hijri.

This article sheds light on aspects of his life and his scholarly contributions through the study of one of the rarest manuscripts I have discovered, which has not received much attention from researchers: "Rahmat al-Rahman fi Kayfiyyat Dukhul Du'afa' al-'Awam wa Masakin al-Talabah alladhina Lahum Qalil al-Ilham fi Dairat Ahl al-Iman". This book serves as an important resource for scholars, where the author blends theology with Sufism. Its theological sections are infused with a Sufi spirit, and its conclusion presents the author's approach to Sufism and mystical knowledge.

Keywords: Al-Houti - Rahmat al-Rahman - Manuscript - Sufism - Theology

تمهيد:

كانت مدينة تلمسان العريقة من أهم حواضر الجزائر المُفعمة بروح التَّصوف والصُّوفية انطلاقاً من أبرز أعلامها الأوائل الذين سَطَعَ نورهم، واستطاعوا التأثير على الناس بسلوكهم وعلمهم ومؤلفاتهم؛ كالإمام أبي مدين الغوث رمز انتقال السُّلطة الرُّوحية من المشرق إلى الجزائر، وانتعشت هذه الحركة الصُّوفية كثيراً خلال العهد العثماني، حيث عرفت مدينة تلمسان العديد من الطُّرق الصُّوفية والأعلام الأفاضل الذين ذاع صيُّهم واشتهروا بعلمهم ومكانتهم الدِّينية، ولهذا اخترنا في هذا المقال علماً لم يَلُقْ اهتماماً سواءً في كتب التاريخ والتراجم أو من طرف الدارسين والباحثين، وهو الإمام محمد بن علي الحوتي التلمساني شيخ زاوية عين الحوت وأبرز أعلامها المشهورين.

تتركز إشكالية البحث في التعريف بهذا العَلم -الإمام محمد بن علي الحوتي- الذي غاب تعريفه في كتب التراجم والأعلام وكانت له شهرة واسعة بين أهل مدينة تلمسان، والتعريف بمتنه العقدي الصوفي "رحمة الرحمن" والكشف عن خصائصه المنهجية ومصادره وأثره على الحقل المعرفي خلال العهد الثاني عشر الهجري.

ولهذا سنحاول في هذا المقال كشف بعض الجوانب المهمة لهذا الإمام من خلال دراسة مخطوط كان ضمن دفائن المخطوطات أُلْفِه خلال القرن الثاني عشر الهجري، وسَمَّاه بـ"رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي كَيْفِيَّةِ دُخُولِ ضُعَفَاءِ الْعَوَامِ وَمَسَاكِينِ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَهُمْ قَلِيلُ الْإِلَهَامِ فِي دَائِرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ"، من خلال تقسيم المقال إلى قسمين؛ الأول في ترجمة الإمام الحوتي التلمساني والإشارة إلى مؤلفاته الأخرى، والقسم الثاني دراسة في هذا المخطوط وصفاً وتحليلاً.

أولاً: ترجمة الإمام الحوتي.

1/ اسمه ونسبه:

هو محمد عبد الله بن علي بن منصور الحوتي التلمساني⁽¹⁾ نسباً ومولداً ومنشأً، وهو من ذرية⁽²⁾ الولي الصالح عبد الله بن منصور بن يحيى بن عثمان الجليلي⁽³⁾ الإدريسي الحسني⁽⁴⁾ الحوتي التلمساني، وقد كان مُجاب الدَّعوة وصاحب كرامات مشهورة وضريحه بقرية عين الحوت⁽⁵⁾، وهذه القرية التي كان الإمام محمد بن علي الحوتي مُستقراً فيها تقع بمدينة تلمسان.

أمّا عن نسب الإمام الحوتي فقد وجدت في نسخة مخطوط "رحمة الرحمن" التي سلّمها لي الأستاذ عبد الرحيم بن منصور التلمساني؛ أنّ نسب الإمام الحوتي ينتهي إلى محمد النفس الزكية أخو سليمان بن عبد الله الكامل⁽⁶⁾؛ وهذا هو نسبه كما جاء مذكوراً: "هو الشيخ الرباني والقطب الفرد الغوث الجامع الصمداني سيدي محمد [بن سيدي محمد] بن سيدي بنعلي بن سيدي العربي بن سيدي حمّ [و] بن الولي الصالح والقطب الواضح سيدي عبد الله بن منصور بن سيدي محمد بن سيدي عبد الجليل الأكبر بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الشريف الحسني بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن إبراهيم بن ثابت بن ميمون بن

¹ كما كتبه في نهاية مخطوطه رحمة الرحمن وضبطته في المتن دون زيادة ولا نقصان، [لوحه 18-ب].

² هو من الجيل الرابع من أحفاد الإمام عبد الله بن منصور الحوتي على قول الأستاذ عبد الرحيم بن منصور التلمساني، والأستاذ عبد الرحيم من أعيان قرية عين الحوت من مواليد سنة 1937م، ولديه نسخة من هذا المخطوط بخط جدّه اكتشفها بعد زيارة علمية له بتلمسان، وقد قام بتأليف كتاب عن تاريخ قرية عين الحوت، وكان لنا مجلس حافل معه قمت بتسجيله بعد استئذان الأستاذ، ولذلك تجد كثيراً من المعلومات الواردة في المقال أخذتها مشافهة عن الأستاذ أطلال الله في عمره وبارك في أنفاسه.

³ وليس المغراوي كما ذكر ابن مريم في ترجمته، وهذا التصحيح أخذناه من النسخة التي كتبها جدّ الأستاذ عبد الرحيم بن منصور فبعد أن أشار إلى ما ذكره ابن مريم ذكر النّاسخ النّسب الصّحيح لعبد الله بن منصور ثم قال: "فهو جليلي النّسب كما ذكره أبو بكر محمد السّيوطي ... وأما قول صاحب البستان بأنّه مغراوي لا أصل له"، اللّوحة 71، نسخة جد الأستاذ عبد الرحيم بن منصور، وللمزيد حول حياة عبد الله بن منصور يُنظر ما كتبه ابن مريم فقد ذكر العديد من كراماته وحكاياته مع سلطان زمانه في كتابه البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1226هـ-1908م، 135-139.

⁴ الحسني لأنّ نسبه ينتهي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

⁵ وقد زرت ضريحه بقرية عين الحوت وقمت بمعاينة ميدانية له وهو ليس بعيداً عن ضريح سيدي محمد بن علي، وللمزيد حول كرامات الشيخ عبد الله بن منصور انظر: الأنوار الدررية الباهرة في ذرية سيدتنا فاطمة الزهراء الطاهرة، عبد السلام العمراني-خالدي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م ص116.

⁶ سليمان بن عبد الله الكامل هو أخو إدريس الأكبر،

عيسى بن محمد الكابولي⁽¹⁾ بن عبد الله الشهيد بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ⁽²⁾، وهذا على خلاف ما جاء في أحد المصادر أنَّ أهل قرية عين الحوت هم الأشراف السليمانيون الذين يعود نسبهم إلى "جدّهم سيدي محمد بن عبد الله الشريف بن محمد بن عبد الله بن بلقاسم بن علي بن داود بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب من مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بنت سيدنا رسول الله ﷺ⁽³⁾، فلعلَّ جُلَّ القاطنين في قرية عين الحوت يعود أصلهم إلى سليمان بن عبد الله الكامل الذي اتخذت ذريته هذه القرية مقرّاً لهم بحُكم أنّها كانت تحت حكم جدّهم سليمان من نسل علي بن أبي طالب عليه السلام الذي اختار الاستقرار في محيط تلمسان بعد أن نجا من أهوال اضطهاد العباسيين، و"كان أهل تلمسان يتشرفون ويفتخرون بالترحيب بهؤلاء الأشراف من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحفاد علي الشجاع" فكانت هذه القرية مهداً لأوّل أسرة شريفة ملكت المغرب الأوسط⁽⁴⁾، فقول أنّ الإمام الحوتي ليس من ذرية سليمان بن عبد الله الكامل وإنّما من نسل أخيه محمد النفس الزكية أمر مُحتمل؛ فلعلَّ من أبناء النفس الزكية أو أحفاده من جاء مع أعمامه فارّاً من ذلك الاضطهاد واستقرّ معهم في تلمسان.

كانت تلمسان تحت حكم الأدارسة بقيادة إدريس الأكبر⁽⁵⁾ -أخو سليمان بن عبد الله الكامل- الذي كان حاكمًا على تلمسان وبعد وفاته خلفه أخوه سليمان حيث نزل بقرية عين الحوت وتملّكها إلى أن وافته المنية فخلفه ابنه محمد بن سليمان، الذي أحدث خلال حكم الخوارج الصفيرية فتنة عجز عنها فكانت سبباً في قدوم إدريس الثاني عام 199هـ فأطاعه محمد

¹ - الكابولي نسبة إلى كابل عاصمة أفغانستان.

² - نقلتها من نسخة المخطوط التي سلّمها لي الأستاذ عبد الرحيم بن منصور.

³ - الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، صالح حسن فضالة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013م، ص:

939.

⁴ - evocation d'ain-el-hout , Abderrahim Benmansour, Tlemcen le 30 avril 2009 ; repris et corrigé le 02 avril 2013, 22 Joumada II 1434.

⁵ - إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل: هو أحد رجال صحيح البخاري ذكره في سنده مرة واحدة في أواخره -ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول، هاجر بعد وقعة الفخّ سنة 169هـ إلى إفريقية مارّاً بتلمسان ومنها انتقل إلى المغرب الأقصى ليعود إليها فيما بعد غازياً. انظر: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، عبد الرحمن السجلماسي، ت: علي عمر، ج5، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1429هـ-2008م، 14-11/2.

بن سليمان وسلّم له زمام الأمور وقضى على الفتنة وأقام بها ثلاث سنوات وبعدها جدّد العهد لابن عمه محمد سليمان واستمرّت بعده ولاية تلمسان في ذريته⁽¹⁾، وضريح سليمان بن عبد الله الكامل موجود اليوم في قرية عين الحوت بجوار ضريح سيدي محمد بن علي الحوتي؛ يقول فيه الإمام ابن قنفذ القسنطيني في أرجوزته:

"وبتلمسان سليمان أخوه أَلَم فيه وقضى بها نحبه"⁽²⁾

كانت تُدعى قرية عين الحوت بـ "قرية العلويّين" وذلك لأنّها كانت في أيدي العلويّين من نسل سليمان بن عبد الله الكامل⁽³⁾ الذي ينتهي نسبهم إلى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه فسمّيت بالعلويّين نسبة إلى اسم علي، ثمّ تغيّر اسمها وأصبحت تُدعى بـ "عين الحوت" على حسب ما يقوله الأستاذ عبد الرحيم بن منصور التلمساني بأنّه كان هناك حوض به حوت كثير فأصبح النّاس يدعونها بقرية عين الحوت نسبة إلى الحوت، وهذه القرية تقع على مسافة قصيرة شمال تلمسان بالمغرب الجزائري، وفيها العديد من أضرحة الأولياء الصالحين الذين يشهد لهم كبار أهل القرية بالولاية والكرامات العديدة.

أمّا عن مولد الإمام محمد بن علي الحوتي فلم نجد في ذلك أثراً إلّا أنّنا نعلم بأنّه من أعلام القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي؛ وذلك بناءً على ما جاء في مؤلّفه "رحمة الرحمن" -محلّ الدراسة- أنّه قد أتمّ تأليفه سنة 1149هـ، وعلى حسب تاريخ وفاته سنة 1164هـ؛ فيكون بهذا تاريخ ميلاده تقريباً هو نهاية القرن الحادي عشر أو مفتتح القرن الثاني عشر الهجري ووفاته نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

¹ - باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، 48؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ط؟، لبنان، دار إحياء التراث العربي، دت، 12/4.

لم يُشر عبد الرحمن الجيلالي إلى حكم سليمان على تلمسان وكذلك صاحب كتاب تلمسان من الفتح الإسلامي فالأحداث فيه كانت متبورة حيث لم يتكلم عن المرحلة الأولى من حكم سليمان بن عبد الكامل؛ ينظر: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، 246/1-248؛ تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، خالد بلعربي، 2011م، ص23.

² مخطوط بمؤسسة المركز الإسلامي لبلعاج العشعاشي، منقول عن كتاب عين الحوت مهد بني سليمان، الأستاذ عبد الرحيم بن منصور.

³ ذكرها باسم "قرية العلويّين" المصادر الآتية: ابن مريم في البستان، ص: 164، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، 48، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد الإدريسي، ج2، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1409هـ، 250/1، البلدان، أحمد اليعقوبي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ، ص196.

2/ دراسته:

لقد كان الإمام الحوتي عالماً تقيّاً زاهداً عابداً متواضعاً سمحاً كريم النّفس⁽¹⁾، عاكفاً منذ نعومة أظافره على حفظ القرآن الكريم على اللّوح بقريته في عين الحوت، كما كان يحضر حلقات القراءات والتفسير والحديث على الصّحاح والمسانيد كما برع في علم الفقه والأصول على مذهب الإمام مالك وعلوم اللّغة فقد درس ألفية ابن مالك وكتب المكوّدي⁽²⁾، كما درس علوم التصوف على الطريقة الشاذلية والعقيدة والتّوحيد على طريقة أهل السنّة الأشعرية كما هو واضح في مؤلّفه رحمة الرحمن.

3/ مؤلّفاته:

أمّا عن مؤلّفات الإمام الحوتي فلم نقف له إلّا على ثلاثة عناوين والتي لازالت ضمن دفائن المخطوطات؛ الأوّل منها ما نحن بصدد دراسته في هذا المقال أمّا الثّاني والثالث فهما عبارة عن أبيات شعريّة صُنّفت ضمن كتب التّاريخ والتّراجم، فلم نجد له غير هذه المؤلّفات سواء في كتب الفهارس أو في كتب التّراجم؛ وسبب ذلك يعود ربما لاشتغاله بالتدريس أكثر من التّأليف، والظاهر من مؤلّفات الإمام الحوتي أنّه كان ذو باعٍ واسعٍ في علم العقائد والتصوف، وسنذكر مؤلّفه المجهولين بشيء من التعريف.

1/ المؤلّف الأوّل: هو المخطوط بعنوان "رحمة الرحمن" وسيأتي التعريف به من خلال المقال.

2/ المؤلّف الثّاني: مخطوط بعنوان: "قَصْرُ الرِّمَامِ"⁽³⁾ عَلَى أَحْمَدِ الْحَبِيبِ خَلِيفَةِ قُدْوَةِ الْأَنَامِ" محفوظ بمكتبة الركب النبوي بأردار الجزائر، وهي نسخة كاملة من صفحة واحدة فيها 22 سطراً بخط مغربي، مكتوبة باللون الأسود والأحمر، لم يُذكر فيها اسم النّاسخ ولا تاريخ النّسخ، تمّ تصنيفها ضمن التّاريخ والتّراجم؛ أوّلها:

¹ - عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، عبد الرحيم بن منصور، ص 132.

² - المصدر نفسه، ص 131.

³ - قال ابن منظور: "رَمَ الشيءَ يَرْمُهُ رَمًا فائِزَمَ: شَدَّ. وَالرِّمَامُ: مَا رَمَ بِهِ، وَالْجَمْعُ أَرَمَةٌ. وَالرِّمَامُ: الْحَبْلُ الَّذِي يُجْعَلُ فِي الْبُرَّةِ وَالْخَشَبَةِ، وَقَدْ رَمَ الْبَعِيرُ بِالرِّمَامِ. اللَّيْثُ: الرَّمُّ فَعَلَ مِنَ الرِّمَامِ، تَقُولُ: رَمَمْتُ النَّاقَةَ أَرَمَهَا رَمًا. ابْنُ السَّكَيْتِ: الرَّمُّ مَصْدَرٌ رَمَمْتُ الْبَعِيرَ إِذَا عَلَّقْتَ عَلَيْهِ الرِّمَامَ. الْجَوْهَرِيُّ: الرِّمَامُ الْخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ فِي الْبُرَّةِ أَوْ فِي الْخِشَاشِ ثُمَّ يُشَدُّ فِي طَرْفِهِ الْمُقَوْدُ، وَقَدْ يُسَمَّى الْمُقَوْدُ رِمَامًا، وَرِمَامُ النَّعْلِ: مَا يُشَدُّ بِهِ الشَّيْخُ، تَقُولُ: رَمَمْتُ النَّعْلَ. وَرَمَمْتُ الْبَعِيرَ: خَطَمْتَهُ؛ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 15 ج، ط 3، 1414 هـ، 273/12.

زِمَامِي بِأَيْدِي الْخَلِّ يَخْلُو بآخره وما لسواه فيه راء تطمعا
وطول وقصر من لديه تفضل ورعي في خصب مع عزيز تطوعا
على هذا حق لأنني موثق بقيد نرى مجتاحه لا توجعا
وأخرها:

لكنّه لم يدر ذاك في قلبه سواد شياطين يريد تروعا
فمن كان راض ذا فيقد لخلنا الفلالي أحمد يتيه ترفعا
ويرجع في فضل به العون خاضع إليه وقلبه يزيد تلطفا⁽¹⁾.

3/ المؤلّف الثالث:

مخطوط بعنوان: "الدُّرُّ الثَّقِيبُ فِي فَضَائِلِ أَحْمَدِ الْحَبِيبِ" محفوظ في مكتبة عزيزي
بأدرار الجزائر، جاء في صفحة واحدة من 21 سطرا مكتوب بخط مغربي، باللون الأسود
والأحمر، لم يُذكر فيها اسم النَّاسِخ ولا تاريخ النَّسْخ، وهي أبيات شعرية على سياق مؤلّفه
السابق مُصنّفة ضمن التاريخ والتراجم أيضًا؛ أوّلها:

تشرفت منك الكون والفوز حاصل إلى اللقا طي قد حاز كنزا من الدر
ففي العالم العلو والسفل جائل بحق وتحقيق بيان بها تجري
في ملك وملكوت تسير تيقنا وفي جبروت تسعى للحق والبر
وأخرها:

وهذا عيد قد سما لك قلبه ... سعوا على قدر الكفاية واليسر
وعندك الفتى نفسه بدناءة ... كما شاء رب العز والفتح والنصر
بما شئت من فضل وعدل فجد به ... عليه بفضل الله يلقاه بالبشر⁽²⁾.

¹- سلسلة فهارس الخزائن والمكتبات الجزائرية، ليامين بن قدور امكراز العنابي الجزائري، 10 ج، ط1، الجزائر، الخزانة
الجزائرية للتراث، 1441 هـ-2020 م، 427/3.

²- سلسلة فهارس الخزائن والمكتبات الجزائرية، ليامين بن قدور امكراز العنابي الجزائري، 10 ج، ط1، الجزائر، الخزانة
الجزائرية للتراث، 1441 هـ-2020 م، 39/9.

4/ وفاته:

تُوِّفِّي رحمه الله في قرية عين الحوت يوم الخميس 27 من رمضان سنة 1164هـ وضريحه بعين الحوت زرته بتلمسان وكان موجوداً أمام الضريح شاهد منقوش فيه بكتابة ولكنّها غير واضحة فقرأتها عند الأستاذ بن منصور؛ جاء فيها: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله، أمّا بعد، أَمَرَ ببناء هذا المقام السعيد أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكّل عليه المعتمد في جميع أموره على ربّه مجند الجنود المنصور الرايات والبنود، مولانا الدولاتي السيد علي باشا⁽¹⁾ أمر بذلك المعظّم الأرفع السيد إبراهيم باي، قصد بذلك وجه الله العظيم ورجا جوابه الجسيم وهو مقام الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح سيدي محمد ابن العالم سيدي محمد بن علي بن سيد عبد الله بن منصور نفعنا الله بهم آمين عام أربعة وستين ومائة وألف⁽²⁾، ويوجد بالضريح مصلى الإمام الحوتي ومحرابه، وبعض القبور لأحفاده وأولاده.

¹ والحاكم العثماني علي باشا تولى الحكم سنة 1168هـ إلى سنة 1179هـ: يُنظر: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، محمد الزباني، ت: المهدي البوعبدلي، ط1، الجزائر، دار عالم المعرفة، 2013م، ص247.

² عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، عبد الرحيم بن منصور، ص130.

ثانيًا: دراسة في مخطوط الإمام الحوتي: "رحمة الرحمن".

1/ وصف النسخة المخطوطة:

اشتهر الإمام الحوتي بمؤلف في العقيدة والتَّصَوُّف وهو كتاب "رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي كَيْفِيَّةِ دُخُولِ ضُعَفَاءِ الْعَوَامِ وَمَسَاكِينِ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَهُمْ قَلِيلُ الْإِلَهَامِ فِي دَائِرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ"⁽¹⁾ والذي أتمَّ تأليفه سنة 1149هـ⁽²⁾.

وقد حصلت بفضل الله وتوفيقه على ثلاث نسخ من هذا الكتاب:

الأولى: محفوظة في مكتبة ميونيخ بألمانيا وهي منسوخة عن نسخة نُقلت من نسخة المؤلِّف وهي كاملة، يعود نسخها إلى القرن الرابع عشر الهجري سنة 1332هـ، وهي مكتوبة بخط مقروء وواضح باللون الأسود وعناوينها بلون أحمر، في 34 لوحة ومسطرتها 25 سطراً، رقم الحفظ: 2514، اسم ناسخها هو بن عودة بن محمود بن صالح 1332هـ الموافق ل1914م، نسخها عن نسخة مكتوبة بخط محمد بن الداودي بن علي المصمودي التلمساني وهو نسخها عن نسخة مكتوبة بخط أبي العباس محمد السنوسي الصيني نسخها عن نسخة مكتوبة بيد المؤلِّف.

أول المخطوط: "الحمد لله الذي جعل نظرة الشيوخ العارفين إكسيرا في القلوب..."، وآخره: "قاله مؤلِّفه عبد الله محمد بن علي بن منصور التلمساني الحوتي ختم الله له ولإخوته المسلمين بالحسنى وتفضل على الجميع بالمقر الأسنى آمين والحمد لله رب العالمين عند زوال يوم الاثنين خامس عشر رجب وثامن عشر ييب عام 1149هـ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخره دعوانا أن الحمد لله رب العالمين".

¹ مخطوط رحمة الرحمن، الحوتي التلمساني، [1-أ].

² "قاله مؤلِّفه عبد الله محمد بن علي بن منصور التلمساني الحوتي ... عند زوال يوم الاثنين خامس عشر رجب وثامن عشر ييب عام 1149هـ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وآخره دعوانا أن الحمد لله رب العالمين": مخطوط رحمة الرحمن، الحوتي التلمساني، [18-ب].

والذي يُؤكِّد التاريخ 1149هـ لأنه غير واضح في المخطوط أن 15 رجب 1149هـ هو الموافق ل18 تشرين الثاني وشهر تشرين الثاني يُسمَّى بالقبطية المصرية شهر أبيب وبعضهم ينطقه ييب فلعلَّ ناسخ المخطوط يكون مصرياً لذلك اهتم بتاريخه.

الثانية: حصلنا عليها بعد زيارة علمية للأستاذ عبد الرحيم بن منصور بتلمسان، اسم ناسخها هو جد الأستاذ عبد الرحيم بن منصور التلمساني وهو عبد الله بن محمد بن علي بن العربي بن جلول الحوتي سنة 1327هـ، مكتوبة بخط يده، وهذه النسخة مُتَقَدِّمة عن نسخة ميونيخ بخمس سنوات، أمّا عن أوّل المخطوط وآخره فهي نفسها كما في نسخة ميونيخ، كانت هذه النسخة التي خطّها جد الأستاذ مبعثرة بين ورثة محمد بن الداودي التلمساني بشكل كراريس فجمعها كلّها وخطّها في كرّاس واحد من حوالي 64 صفحة، وبعد وفاته تُركت في مكتبته حتى أخذها جدُّ الأستاذ بن منصور واحتفظ بها واهتمَّ بها الأستاذ عناية وتحقيقًا ولكنّه لم ينشرها.

الثالثة: وهي نسخة نفيسة جليلة القدر بخطّ المؤلف نفسه وهو سيدي محمد بن علي الحوتي وهي للأسف الشديد ليست كاملة مبتورة الأول تمثل الأوراق الأخيرة من الكتاب والسبب في ذلك حسب الأستاذ عبد الرحيم بن منصور الذي أرسلها لنا مشكوراً هو اقتسام الورثة لهذا المخطوط، وهي تقع في 16 لوحة من وجه واحد مكتوبة بخط واضح جميل فيها خرق وتمزق وخربشة في بعض المواضع.

2/ مصادره وموارده في المخطوط:

من خلال قراءتنا لمخطوط رحمة الرحمن نلاحظ كثرة استدلال الإمام الحوتي بالآيات القرآنية وفي بعض الأحيان الأحاديث النبوية، كما نلاحظ كثرة استدلاله بأقوال أهل التصوف من أعيان الشاذلية في المشرق كالإمام الشعراني وابن عطاء الله السكندري، كما نجد من أعيان الغرب الإسلامي الإمام محمد بن يوسف السنوسي، أمّا عن الكتب المذكورة في المخطوط فقد وجدت ذكره لكتاب "الحكم" لابن عطاء الله السكندري وكتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب" لأبي طالب المكي، وكتب الإمام السنوسي من كبرى العقائد والعقيدة الصغرى.

نجد الإمام الحوتي عند كلامه في العقائد كثيراً ما يقول: "كما ذهب لهذا الشيخ رحمته الله" وهو الإمام السنوسي، وذكر كتبه كشرح كبرى السنوسي للإمام السنوسي والعقيدة الصغرى التي قال عنها:

"فجميع العقائد المذكورة في صغرى الشيخ السنوسي ﷺ واجب معرفتها على كُلِّ مُكَلَّف" ⁽¹⁾، فنلاحظ تلك النزعة السنوسية التي كانت ظاهرة على الإمام الحوتي والتي بانَتْ معالمها على الكتاب.

3/ سبب تأليف الكتاب:

أمَّا تأليفه لهذا السِّفر العظيم فيعود لسببين ذكرهما الإمام الحوتي في المقدمة الأولى: شفقتَه على ضُعفاء العوام الذين لم يجدوا هادياً يهديهم ولا مرشداً يرشدهم إلى طريق القرب من المولى تعالى، والسبب الثاني: كثرة التصانيف والتأليف في ذلك العصر ما أدَّى إلى خروجها عن المنهج الصحيح ⁽²⁾؛ فعوَّل على تصنيف هذا الكتاب الذي جعله قريباً من فهم سلف الأمة؛ قال الإمام الحوتي: "...حضر في قلبي وسطع في لُبِّي شيء من الشَّفقة على ضُعفاء الأفهام...الذين لم تُشرق قلوبهم بأنوار الشهود...ولا سيما في هذا الزمان الذي هو زمان الغفلة والعميان زمان كثرت فيه التواليف واتسعت فيه التصانيف ولم تزل تتسلسل إلى أن خرجت بسبب اختلاف أفهام أهلها...فصعُب على الضعيف أخذ دينه منها ولم يقدر المسكين يسلك إلى ربِّه عليها لكثرة تأويلاتها... فالتمست لذلك منهاجاً ونصبت من أجله معراجاً يقرب من منهاج السلف الصالح ويدنوا من معراج الحزب الفالح" ⁽³⁾.

¹ مخطوط رحمة الرحمن، الحوتي التلمساني، [اللوحة 10-ب].

² وقد أخبرني الأستاذ عبد الرحيم بن منصور عند لقائه ...عن أسباب التَّأليف والجدال الذي كان واقعاً بين الإمام الحوتي ومقلَّدي الإمام السنوسي وهذا ماقاله في كتابه: "يبدو أنَّه وقع بينه -أي الإمام الحوتي- وبين مقلَّدي الشَّيخ السنوسي جدال في الأمر الشيء الذي أدَّى به إلى تحرير كتاب بعنوان في كيفية دخول ضُعفاء العوام..." عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، عبد الرحيم بن منصور، ص132.

³ مخطوط رحمة الرحمن، الحوتي التلمساني، [1-أ].

4/ منهجه في الكتاب ومضمونه:

قسّم الإمام الحوتي كتابه رحمة الرحمن إلى مقدمة وخاتمة وجعله مُشتملاً على خمسة أبواب ربّتها كالآتي:

مقدمة

الباب الأول: في معنى لا إله إلا الله.

الباب الثاني: فيما لا بد منه من العقائد على كل من هو من أمة رسول الله ﷺ.

الباب الثالث: في كيفية الانتفاع بما إذا وقفنا بين يدي الله.

الباب الرابع: في بيان الدلائل والبراهين التي توجب رسوخها وعدم تزلزلها لكي يقع الانتفاع.

الباب الخامس: في زيادة بيان في دليل التواتر.

أمّا عن مضامين المخطوط فقد ابتدأ الإمام الحوتي كتابه بمقدمة أوصى فيها القارئ لكتابه أن يلتزم بمقام التسليم ويتّصف بالأدب وعدم الانتقاص من عباد الله لما في كتابه من مخالفة لبعض كلام أهل العلم كما نهى عن تفضيل بعض عباد الله عن غيرهم ثم شرع في بيان الباب الأول من الكتاب في معنى لا إله إلا الله فابتدأ بشرح كلمة الله وفصل فيها كما أشار إلى معاني الخالقية، ثم يأتي الباب الثاني من كتابه الذي تكلم فيه عن موضوع العقائد فابتدأ هذا الباب بتعريف مصطلح العقيدة ثم شرع بالحديث عن العقائد التي تجب على كلّ مكلف بإجماع أهل السنة وقسمها بنفس تقسيم علماء أهل الكلام فالقسم الأول هي العقائد الواجبة على المكلف من حيث حقّ الله تعالى من الواجبات والمستحيلات والجائزات ثم تأتي العقائد الأربع التي معها وهي نفي الغرض وحدث العالم بأسره ونفي التأثير بالقوة أو الطبع؛ والقسم الثاني العقائد الواجبة على المكلف من حيث حقّ رُسله عليهم السلام من الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة؛ ثم شرع في الباب الثالث في كيفية الانتفاع بهذه العقائد إذا وقف العبد بين يدي سيّده ومولاه فيقول أنّ العقائد لا انتفاع بها إلا إذا كانت في قلب العبد وصارت في لُبّه مُتَقَيَّنًا وجازماً بها؛ ثمّ يليه الباب الرابع في بيان الدلائل والبراهين التي توجب رسوخها في العقل وعدم تزلزلها لكي يقع الانتفاع بها؛ وهي اشتراط الثّبات في العقيدة ثمّ شرع يذكر أسباب هذا الثّبات، ثمّ يليه الباب الخامس في زيادة بيان دليل التّواتر الذي قال أنّه يُعتبر من البراهين القاطعة الموصلة إلى الله والثّافية للشّرك التي من

تمسك بها كان مُنتمياً إلى زُمرة العارفين المؤمنين المتيقنين؛ وهي التي توصل العبد إلى رضا الله وصولاً لا شبهة فيه، وأوصى في آخر هذا الباب أنه يلزم على كل مكلف من أمة رسول الله ﷺ من العوام والخواص أن يستحضروا "لا إله إلا الله" بقلوبهم ويستحضروا معناها "لا خالق إلا الله" ثم يستحضروا لوازم ذلك المعنى وهي العقائد الخمسون من الوجود والقدم وغيرها، وقال أن هذا يكفي في الإيمان بلا شك؛ أمّا من كان قويّ الفهم وتحققت فيه شروط الاجتهاد فعليه بالبحث والتوسّع في معرفة الله تعالى، ثمّ أتمّ كتابه بخاتمة في بيان شيء من طريق أهل الشهود والعيان طريق أهل التّصوف أولئك الذين لا يحتاجون في معرفتهم برهيم إلى دليل واستدلال، ثم تكلم على الطّريقة وما تتوقّف عليه من التّخلّي والتّحلّي والتّجلّي وأشار إلى ضرورة وجود شيخ كامل وعالم يرشد المُريد في هذه الأصول ويُقيمه فيها ليصل إلى تلك النّفحات الإلهية والمقامات العلية.

لم يغمس الإمام الحوتي في الطرائق الكلامية الموغلة في الرد والنقد والخلاف ولهذا غلبت على الكتاب الصبغة التقريرية أكثر؛ إلا في بعض المواضع التي خالف فيها الإمام السنوسي، ويظهر من كتاب رحمة الرحمن وضوح المنهج والاستدلال بحيث اتبع فيه مؤلفه ترتيباً منطقياً يسهل على القارئ الفهم والاستيعاب، واعتمد على أسلوب سلس جمع فيه بين العمق العلمي وسهولة التلقي وذلك تحقيقاً للهدف الذي وضعه في مقدمة الكتاب الذي ألفه ليكون سهل التناول لضعفاء الفهم، ولهذا يعتبر هذا الكتاب إضافة نوعية في بابهِ، قدّم فيه مؤلفه الدرس العقدي ممزوجاً بشيء من التربية الروحية، قاصداً تسهيل حفظ العقائد بمتن أسهل للحفظ من العقائد السنوسية التي كانت منتشرة في تلمسان.

كما يجدر أن نُشير إلى ملاحظتين على الإمام محمد بن علي الحوتي؛ الأولى تلك التّزعة الانتقادية الظاهرة عليه في كتابه؛ انتقد أهل زمانه من العلماء الذين يَعْقِدُونَ مجالس العلم ويُلقُونَ على الطّلبة بما فتح الله عليهم دون أن يُراعوا اختلاف المدارك من الضّعيف والقويّ في الفهم، ويرى الإمام الحوتي أن هذا ليس من عمل الحزب الفالح من السّلف الصّالح الذي كان على شفقةٍ بضعفهم⁽¹⁾، وهذا امتثالاً بمنهج رسول الله ﷺ الذي قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ"⁽²⁾، وانتقاده كذلك لبعض آراء العلماء في العقائد.

¹- مخطوط رحمة الرحمن، الحوتي التلمساني، [لوحه 13-ب].

²- صحيح البخاري، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، رقم الحديث: 127.

الملاحظة الثانية هي تلك النزعة السنوسية التي تظهر من كثرة استشهاده بأقوال الإمام السنوسي وذكره لمؤلفاته كما سبق وتكلّمت، ولكن بالرغم من تلك النزعة السنوسية الظاهرة على الإمام الحوتي إلا أننا نجده في بعض المواضع يُخالفه وينتقده؛ ولهذا أشار في مقدّمته إلى عدم جواز التفضيل بين العلماء فرغم أنّ ما في كتابه من مخالفة لمن سبقه فلا يجوز القول أنّ الإمام الحوتي أعلم من الإمام السنوسي أو ما إلى ذلك من أقوال، وهذا دليل أيضا على أنّ الإمام الحوتي له بعض المسائل التي خالف فيها الإمام السنوسي والتي يلحظها القارئ لكتابه "رحمة الرحمن": ويقول في هذا السياق: "فلا يهلكنك الشيطان بسبب رؤيتك في هذا الكتاب ما يخالف كلام الشيخ السنوسي وغيره ممّن تبعه من الأئمة وتعتقد أحد أمرين بأن تقول هذا خير من الشيخ السنوسي...أو تحقّرني"⁽¹⁾، وهذا دليل على تلك النزعة التجديدية في علماء القرن الثاني عشر الهجري وهو ردّ على من قال بميزة الجمود والتقليد على أهل هذا الزمان.

¹ مخطوط رحمة الرحمن، الحوتي التلمساني، [لوحة 3-ب].

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، 9 ج، ط1، دار طوق النجاة، 1422 هـ.
- 2- مخطوط "رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ فِي كَيْفِيَّةِ دُخُولِ ضَعْفَاءِ الْعَوَامِ وَمَسَاكِينِ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لَهُمْ قَلِيلُ الْإِلْهَامِ فِي دَائِرَةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ"، محمد بن علي الحوتي، محفوظ في مكتبة ميونيخ بألمانيا، سنة النسخ 1332 هـ، رقم الحفظ: 2514.
- 3- إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، عبد الرحمن السجلماسي، ت: علي عمر، 5 ج، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1429 هـ-2008 م.
- 4- الأنوار الدررية الباهرة في ذرية سيدتنا فاطمة الزهراء الطاهرة، عبد السلام العمراني-خالدي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010 م.
- 5- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، 48؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ط؟، لبنان، دار إحياء التراث العربي، دت.
- 6- البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ابن مريم المديوني، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1226 هـ-1908 م.
- 7- البلدان، أحمد اليعقوبي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1422 هـ.
- 8- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، 2 ج، ط2، الجزائر، مكتبة الشركة الجزائرية، 1384 هـ-1965 م.
- 9- تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية، خالد بلعربي، 2011 م.
- 10- الجواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرّع من آدم إلى أزمنتنا الحاضرة، عبد السلام العمراني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012 م.
- 11- الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، صالح حسن فضالة، ط؟، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013 م.
- 12- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 15 ج، ط3، 1414 هـ.
- 13- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد الإدريسي، 2 ج، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1409 هـ.
- 14- سلسلة فهارس الخزائن والمكتبات الجزائرية، ليامين بن قدور امكراز العناني الجزائري، 10 ج، ط1، الجزائر، الخزانة الجزائرية للتراث، 1441 هـ-2020 م.
- 15- عين الحوت مهد بني سليمان أول ملوك تلمسان، عبد الرحيم بن منصور.
- 16- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، محمد الزياني، ت: المهدي البوعبدلي، ط1، الجزائر، دار عالم المعرفة، 2013 م.